

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي ، ويُكنى (أبو بكر) ، هو شيخ الأصحاب المقدم عليهم في الخطاب ، الذي أقامه النبي مقامه في المحراب . أما أبيه فيكنى بـ (أبو قحافة) . ويلقب بعتيق ، والصديق هو لقب حازه صبيحة الإسراء والمعراج ، لقبه به النبي (ﷺ) كما لقبه به جبريل (عليه السلام) حيث وقف النبي (ﷺ) في الحِجْرِ يحدث الناس عن قصة الإسراء فكذبوه ، وذهب بعضهم إلى بيت أبي بكر يقولون له : « أدرك صاحبك فإنه في الحِجْرِ يحدث الناس أنه قد أُسْرِيَ به البارحة إلى المسجد الأقصى وعاد في نفس الليلة ، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا غدوا وشهرا رواحا ، فقال أبو بكر : والله إن كان قاله فقد صدق ، فإن أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة في لحظة من الليل أو لحظة من النهار أفلا أصدقه في خبر الأرض؟! ثم جاء يسعى إلى النبي (ﷺ) وهو يحدث الناس بقصة الإسراء

ولم يكن قد تحدث عن قصة المعراج بعد ، فقال له : صدقت يا رسول الله ، والله لئن أخبرتنا أنه قد عرج بك إلى السماوات العلا لصدقناك ، فأجابه النبي (ﷺ) قائلاً : وقد عرج بي إلى السماوات العلا ، وأنت يا أبا بكر الصديق .

وقد لقبه الله تبارك وتعالى بـ (عتيق) ، فعن حميد بن أنس قال : جاء جبريل إلى النبي (ﷺ) بوحي من عند الله عز وجل فقال : يا محمد .. إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك قل لعتيق ابن أبي قحافة أني عنه راضٍ .

وسيدنا أبو بكر هو خليفة رسول الله على التحقيق ، الذى قال فيه سيد كل قبيلة وفريق : « ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق » .

وإن كان البعض يقول إن النبي (ﷺ) لم يستخلفه وإنما بايعه الناس ، وفي هذا يقول محمد بن الزبير : أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى أسأله عن أشياء ، فصعدت إليه فإذا هو متكئ على وسادة من آدم^(١) ، فقلت : أرسلني إليك عمر أسألك

(١) آدم : جلد .

عن أشياء ، فأجابني فيما سألته عنه ، وقلت : اشفني فيما اختلف
الناس فيه .. هل كان رسول الله (ﷺ) استخلف أبا بكر ؟ ،
فاستوى الحسن قاعدا فقال : أو في شك هو لا أبا لك ؟ أى والله
الذى لا إله إلا هو لقد استخلفه ، وهو كان أعلم بالله وأتقى له
وأشد مخافة من أن يموت عليها لو لم يُأمره .

وعن على بن أبي طالب قال : قدّم رسول الله (ﷺ) أبا
بكر فصلى بالناس ، وإنى لشاهد غير غائب ، وإنى لصحيح غير
مريض ، ولو شاء أن يقدمني لقدمني ، فرضينا لديننا من رضيه الله
ورسوله لديننا .

وحين فضل بعض القوم عمر على أبي بكر جاء عمر ومعه
درته فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر فجعل يضربهم بالدرّة
حتى ما يتقى أحدهم إلا برجله ، فقال له الجارود بن أبي المعلى :
أفق .. أفق يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل لم يكن يرانا نفضلك
على أبي بكر ، أبو بكر أفضل منك في كذا ، وأفضل منك في
كذا ، فسُرّي عن عمر ثم انصرف ، فلما كان من العشيّ صعد
المنبر وخطب في الناس ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : « ألا
إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير ذلك بعد

مقامى هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري » .

ومن هنا اتفقت الأمة على أن أبا بكر الصديق أفضل أمة محمد (ﷺ) على الإطلاق ، وهو بعد النبي (ﷺ) لا يرقى لمقامه مخلوق .

هذا .. ولما انتقل النبي (ﷺ) للرفيق الأعلى كان أبو بكر هو الذى لَمَّ شمل الأمة .. وكان رابط الجأش حيث ذهل عمر عن نفسه وقال : لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفى هذا ، وقيل لبعض الناس اذهب إلى صاحب رسول الله (ﷺ) فادعه — يعنى أبا بكر — قال فذهبت فوجدته فى منزله ، قال : فأجهشت أبكى ، قال أبو بكر : لعل نبى الله توفى ؟ ، قلت : إن عمر قال : لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفى هذا ؟ ، قال : فأخذ بساعدى ثم أقبل يمشى حتى دخل فأوسعوا له فأكب على رسول الله (ﷺ) حتى كاد وجهه يمس وجه رسول الله (ﷺ) فنظر نفسه حتى استبان له أنه توفى فقال : إنك ميت وإنهم ميتون ، طبت حيا وطبت ميتا ، والله لن تذوق الموت بعد ذلك .. قالوا : يا صاحب رسول الله (ﷺ) توفى رسول الله (ﷺ) ؟ ، قال : نعم ، فعلموا أنه كما قال ، قالوا : يا صاحب رسول الله هل يصلى على النبي (ﷺ) ؟ ، قال : نعم ، قالوا : هل يدفن ؟ ، قال :

نعم ، قالوا : أين يدفن ؟ ، قال : حيث قبض الله روحه .. ثم خرج إلى الناس وهو يقول : يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وتلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَظِرُونَ مَتَى أَوْقُتِلْ أَنْتَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَبُونَ ﴾ (١) .

هذا .. وقد اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون في أمر الخلافة ، فلما علم أبو بكر بذلك أخذ عمر بن الخطاب وذهب إليهم ، فقالت الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » ، فقال عمر : « سيفان في غمد واحد إذا لا يصطحبان » .. يا معشر الأنصار .. أنشدكم بالله .. أَمَرَ رسول الله (ﷺ) أبا بكر أن يصلي بالناس ؟ ، قالوا : اللهم نعم ، قال : فأياكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله (ﷺ) ؟ ، قالوا : كلنا لا تطيب أنفسنا بذلك ، نستغفر الله .. ثم استطرد عمر قائلاً : ومن منكم له هذه الثلاثة (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ؟ ، ثم مد يده لأبي بكر يبايعه
، وكان عمر بن الخطاب أول من بايع أبا بكر ثم بايع بعده الناس من
الأنصار والمهاجرين ، ثم تلاهم مبايعة العامة .

ويروى سيد الأصحاب وسيدنا جميعا خبر إسلامه فيقول :
كنت قبل سفري في الحرم فسمعت أمية بن أبي الصلت يقول لزيد
ابن عمرو بن نفيل هل آن الأوان لظهور النبي المنتظر ؟ ، فقال له :
نعم ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية لا يعبد الأصنام
ولا يسجد للأوثان ويتقرب إلى الله على الخيفية السمحاء ومات
ولم يحضر النبي (ﷺ) ، وحين سُئِلَ النبي (ﷺ) عنه قال في
شأنه : « يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ » وهو والد سعيد
الصحابي الجليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة .. ثم سافر أبو بكر
إلى اليمن ويروى قائلا : خرجت إلى اليمن قبل أن يُبْعَثَ النبي
(ﷺ) فنزلتُ على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب ، وعلم من
علم الناس كثيرا ، فلما رآني قال : أحسبك حرميا ؟ ، قلت : نعم أنا
من أهل الحرم ، قال : وأحسبك قرشيا ؟ ، قلت : نعم أنا من قریش

، قال : وأحسبك تيميا ؟ ، قلت : نعم أنا من تيم بن مرة ، أنا عبد الله بن عثمان ، من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، قال : بقيت لى فيك واحدة ، قلت : ما هى ؟ ، قال : تكشف عن بطنك ، قلت : لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك ؟ ، قال : أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم ، يعاون على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فَنَحْوُاضُ غمرات ودَفَّاعُ معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك أن ترينى ما سألتك ، فقد تكاملت لى فيك الصفة إلا ما خفى على ، فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى ، فقال : أنت هو ورب الكعبة ، وإنى متقدم إليك فى أمر فاحذره ؟ ، قلت : وما هو ؟ ، قال : إياك والميل عن الهدى ، وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى ، وخَفِ الله فيما حولك وأعطاك ، قال أبو بكر : فقضيت باليمن أَرَبِي^(١) ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال : أحامل عنى أياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى ؟ ، قلت : نعم ، فذكر أياتا ، ثم قدمت مكة وقد بُعث النبى (ﷺ) فجاءنى عقبة بن أبى معيط وفريق من صناديد قريش فقلت لهم : هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر ؟ ،

(١) أربى : طلى أو غرضى .

قالوا : يا أبا بكر أعظم الخطب .. يتيم أبى طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به ، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية ، قال أبو بكر : فصرفتهم بالحسنى وسألت عن النبي (ﷺ) فقيل فى منزل خديجة ، فقرعت عليه الباب فخرج إلى فقلت : يا محمد فقدت من منازل أهلك وتركت دين آبائك وأجدادك ؟ ، قال : يا أبا بكر إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فأمن بالله ، فقلت : ما دليلك على ذلك ؟ ، قال : الشيخ الذى لقيت باليمن ، قلت : وكم من شيخ لقيت باليمن ، قال : الشيخ الذى أنشدك الأبيات ، قلت : ومن خبرك بهذا يا حبيبى ؟ ، قال : الملك المعظم الذى يأتى الأنبياء قبلى ، قلت : مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، قال رسول الله (ﷺ) : « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتَمَ ^(١) حين ذكرته له ما تردد فيه » .

وَيُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ : « يَا حَسَّانُ هَلَّا قُلْتَ شَيْئًا فِي أَبِي بَكْرٍ » ، قَالَ : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « يَا حَسَّانُ قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ » ، فَقَالَ ضَمِنَ

(١) عتم : لبث .

قصيدة طويلة :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَحَى ثِقَةٍ
فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
الثَّانِي الثَّالِي الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ
وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلَهَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الصَّدْقُ وَالصَّدِيقُ فِي الْغَارِ الْمَنِيفِ
وَقَدْ بَاضَ الْحَمَامُ وَالْعَنْكَبُوتُ قَدْ نَسَجَا

هذا .. وقد أسلم على يد أبي بكر سبعة ، منهم : الزبير بن العوام ،
وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله .
وكذلك أعتق سبعة كلهم يُعَذَّبُ في الله ، منهم : بلال بن رباح ،
وعامر بن فُهيرة ، وعبد الله بن مسعود (رضى الله عنهم) .

هذا .. وعندما أُذِنَ لرسول الله (ﷺ) بالهجرة كان أبو بكر
يتمنى أن يصحبه ، وقد جهز لذلك راحلتين ، وتقول السيدة عائشة
رضي الله عنها : هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَجَهَّزَ أَبُو
بَكْرٍ مُهَاجِرًا فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : « عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ

لي» ، فقال أبو بكر : أَوْ تَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ ؟ ، قَالَ : « نَعَمْ » ،
فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) لَصُحْبَتِهِ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ
كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمَرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا
جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَقَالَ قَاتِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ
اللَّهِ (ﷺ) مُقْبِلًا مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ :
فَدَأَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِلْأَمْرِ ، فَجَاءَ
النَّبِيُّ (ﷺ) فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ :
« أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » ، قَالَ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ : « فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ » ، قَالَ : فَالْصُّحْبَةُ بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : فَخَذَ بِأَبِي أَنْتَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : « بِالثَّمَنِ » ،
قَالَتْ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتًا ^(١) الْجَهَّازِ ، وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي حِرَابٍ
فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَأَوْكَاتَ بِهِ الْجِرَابَ ،
وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النَّطَاقِ ^(٢) .. وقد استأجر أبو بكر دليلًا
خبيرًا بطرق الصحراء اسمه عبد الله بن أريقط .. وعلى الرغم من أن

(١) أعجله وأسرعه .

(٢) رواه البخاري .

هذا الرجل كان كافرا إلا أنهما وثقا في أمانته وإخلاصه .. وواعد أبو بكر عبد الله بن أريقط للقاءه في غار ثور بعد ثلاث ليال .. ثم خرج النبي (ﷺ) ومعه أبو بكر حتى انتهيا إلى الغار ، قال أبو بكر : والله .. لا تدخله حتى أدخله قبلك .. فإن كان فيه شيء أصابني دونك ، فدخل فكسحه ، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسده به ، وبقي منها اثنان فألقمهما رجله ، ثم قال لرسول الله (ﷺ) : ادخل ، فدخل رسول الله (ﷺ) ووضع رأسه في حَجْرِهِ ونام ، فُلِدَغَ أبو بكر في رجله من الجُحْرِ ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله (ﷺ) ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله (ﷺ) ، فقال : « مالك يا أبا بكر ؟ » ، قال : لُدِغْتُ .. فذاك أبي وأمي ، فتفل رسول الله (ﷺ) ، فذهب ما يجده ^(١) .. وفي الطريق كان أبو بكر (رضي الله عنه) يمشي أمامه تارة ثم يمشي خلفه تارة ، فيسأله النبي (ﷺ) عن ذلك فيقول : يا رسول الله .. أذكر الرصد فأسير أمامك ثم أذكر الطلب فأمشي خلفك .. بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ثم يدركهم سراقة بن مالك فيراه أبو بكر فيبكي فيقول النبي (ﷺ) : « ما يبكيك يا أبا

(١) رواه زين عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وفيه : ثم انتفض عليه (أى رجع أثر السم حين موته) وكان سبب موته .. أنظر : مشكاة المصابيح ، باب مناقب أبي بكر .

بكر ؟» ، فيقول : يا رسول الله .. ما أبكى على نفسي ولكني أحاف عليك ، فذاك نفسي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فيقول : « يا أبا بكر .. إن الله معنا » ، ثم يدعو على سراقاة فتغوص أقدام فرسه في أرض صلبة .. (إلى آخر هذه القصة) .. ولذلك عندما عاتب ربنا تبارك وتعالى الصحابة بقوله : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

خرج أبو بكر من هذه المعاناة ، وهو الوحيد الذي حاز هذا الفضل .

ويروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : « يَنِمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ انْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا .. خُلِقْتُ لِلْحِرَاةِ . قَالَ : آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وَأَخَذَ الذَّبُّ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِي فَقَالَ لَهُ الذَّبُّ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي ؟ .

(١) سورة التوبة آية ٤٠ .

قَالَ : آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » . ^(٢) ولم يكن أبو بكر ولا عمر في هذا المجلس .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ » ^(١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ^(٢) .

وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ : « اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » ^(٣) .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « هَذَانِ سَيِّدَا

^(٢) رواه البخاري .

^(١) رواه أحمد والترمذي .

^(٢) رواه الترمذي .

^(٣) رواه البخاري .

كُھُولِ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيْنَ وَالْمُرْسَلِينَ ، لَا تُخَيِّرُهُمَا يَا عَلِيُّ مَا دَامَا حَيَّيْنِ » (٤) .

ومن مناقبه (ﷺ) أنه كان يفتي على عهد رسول الله (ﷺ) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (ﷺ) قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) النَّاسَ وَقَالَ : « إِنْ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (١) .

وكان (ﷺ) إذا مُدِح قال : « اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ » .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » (٢) .

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ ، فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ ؟ كَأَنِّهَا تَقُولُ (الموت) ، قَالَ : « إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَتْنِي أَبَا بَكْرٍ » (١) .

وعن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ : « عَائِشَةُ » ، فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ ؟ ، فَقَالَ : « أَبُو هَارٍ » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ ، قَالَ : « ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » ، فَعَدَّ رَجُلًا (٢) .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَحَدَ شِقْيَى ثَوْبِي يَسْتَرْحِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خِيَلَاءَ » (٣) .

ولم يتخلف أبو بكر عن رسول الله (ﷺ) في سفر أو غزوة قط ، وهو الذي كان معه في العريش الذي أقامه سعد بن معاذ

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

لرسول الله في غزوة بدر ، وهو الذي وقف خلف النبي (ﷺ) يوم بدر عندما نظر النبي (ﷺ) إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ويَفُّ ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي (ﷺ) القبلة ثم مدَّ يده وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللَّهُمَّ آيِنَا مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَنْجِرْ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعَبِّدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا » ، قال فما زال يستغيثُ ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداؤه فردَّاهُ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ .. كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ . (١)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ » ، قال أبو بكرٍ (رضى الله عنه) : أنا ، قال : « فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ » ، قال أبو بكرٍ (رضى الله عنه) : أنا ، قال : « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ » ، قال أبو بكرٍ (رضى الله عنه) : أنا ، قال : « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ » ، قال أبو بكرٍ (رضى الله عنه) : أنا ، فقال رسول الله (ﷺ) : « مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢) .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه مسلم .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَلِأَهْلِ الصِّيَامِ بَابٌ يُدْعَوْنَ مِنْهُ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هَلْ أَحَدٌ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟ ، قَالَ : « نَعَمْ .. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ » ^(١) .

ولقد قيل من أحب أبا بكر فقد أحب رسول الله (ﷺ) ، ومن أحب رسول الله (ﷺ) فقد أحب الله ، ومن أحب الله دخل الجنة ، ومن كره أبا بكر فقد كره رسول الله ، ومن كره رسول الله فقد كره الله ، ومن كره الله دخل النار .

ويروى أبو سعيد الخدري (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) خطب يوماً فقال : « إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضى الله عنه) ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ فِي نَفْسِهِ : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ؟ — فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) هُوَ الْعَبْدُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا — قَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ

(١) رواه أحمد .

عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي
لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَتَّقِينَ فِي
الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ » (٢) .

ويصفه سيدنا عمر قائلا : مَا اسْتَبَقْنَا بَابَ خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي
أَبُو بَكْرٍ ، فلما نزل قول الله تعالى : (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا
هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ
عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾) (١) ،
فقلت في نفس اليوم أسبق أبا بكر وأتيتُ بِنَصْفِ مَالِي لِلرَّسُولِ (ﷺ)
، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : يَا عُمَرُ وَمَا تَرَكْتَ لِعِيَالِكَ ؟ ، فقلت : يَا
رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ بِنَصْفِ مَالِي وَتَرَكْتُ النِّصْفَ لِأَهْلِي وَعِيَالِي ، وَلِلَّهِ
عِنْدِي مَزِيدٌ ، وَلَمْ يَمُضْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ كُلَّهُ يَكَادُ يَخْفِيهِ
عَنْ نَفْسِهِ يَقْدِمُهُ لِلرَّسُولِ (ﷺ) ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ بِمَاذَا جِئْتَ ؟ ،
قَالَ : جِئْتُ بِمَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِي عِنْدَ اللَّهِ مَزِيدٌ ، قَالَ : وَمَا
تَرَكْتَ لِعِيَالِكَ ؟ ، قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، يَقُولُ عُمَرُ فَقُلْتُ :
بِنَفْسِي أَنْتَ وَبِأَهْلِي أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا أَسْبِقُكَ أَبَدًا .

(٢) رواه البخاري .

(١) سورة البقرة آية ٢٧١ .

وقد كان أبو بكر في تواضعه وفي تقواه مثلاً يحتذى ، ويقول بعض العلماء أنه نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦٧﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦٨﴾ فَسُيِّرْهُ لِمُسْرَى ﴿٦٩﴾ ﴾ ^(٢) .. كما قيل أيضاً أنه قد نزل فيه قول الله : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ^(١) .. وكذلك قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ ^(٢) .

^(٢) سورة الليل الآيات من ٥ : ٧ .

^(١) سورة الأحقاف آية ١٥ ، ١٦ .

^(٢) سورة الليل الآيات من ١٨ : ٢١ .

ومن أمثلة رفته وتواضعه (ﷺ) : أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا في أطراف المدينة يذهب إليها فيسقى لها ، ويحلب لها ، ويصلح لها من شأن بيتها ، فكان كلما ذهب إلى هذه العجوز وجد غيره قد سبقه إليها فيقضى لها ما تشاء ، ثم تربص يوما بذلك السابق ليرى من هو فكان أبو بكر الصديق ، ويراها عمر يدخل إلى المرأة فيحلب لها شاةا ويسقى لها ويفرش لها دارها ويهيئ لها فراشها ، ويخرج متخفيا فيمسك بجلايينه عمر فيقول : لَعَمْرِي إنه لأنت يا أبا بكر ..

هذا .. وتحدث أنيسة فتقول : كان أبو بكر ينزل فينا قبل الخلافة سستان وسنة بعد الخلافة ، وكانت جوارى الحى يذهبن لأبى بكر بأغنامهن فيحلبها لهن ، وربما قالت له الفتاة : أرغى لى ، أو صرّح (فى حلب الشاة طريقتان أن ترغى أى يكون اللبن ذا رغوة ، أو تصرح أى يكون اللبن بغير رغوة) ، فكان يسأل فتاة فتاة : أرغ لك أم أصرح ؟ ، فأبما قالت فعل لها ما تقول .. فتقول أنيسة حينما استُخلف أبو بكر قلنا وقالت الجوارى : إذا لن يحلب لنا ، وإذا باليوم الثانى صبيحة استخلافه يأتى ويقول لجوارى الحى : هلم هلم أحلب لكنّ .

ومن أهم المواقف التى حفظت الإسلام ووحدة الأمة موقفه

(ﷺ) في حروب الردة التي كان قد أمر بها ، ولما ناقشه فيها سيدنا عمر قائلًا : يا أبا بكر كيف تقتل أناسا يشهدون أن لا إله إلا الله ؟! ، فقال : يا عمر والله لو منعوني عَقَلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم عليه ، والله لا أفرق بين من لم يقل لا إله إلا الله وبين من منع الزكاة .

هذا .. وقد تم جمع القرآن الجَمْعَة الأولى في مصحف واحد في عهده ، وقد استمرت خلافته (ﷺ) سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل أنه قد مات مسموما ، وتقول السيدة عائشة أنه اغتسل في يوم بارد فَحُمَّ (أصابته الحمى) ، هذا .. وقد استخلف عمر ابن الخطاب على الناس ، ثم ثقل عليه المرض حتى مات ، وقد دفن إلى جوار حبيبه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

هذا .. والحديث عن شيخ الأصحاب يطول ولكن مهما تحدثنا عنه فلن نوفيه حقه ، فنكتفى بهذا القدر .. نسأل الله العليّ القدير أن يجزيه عن أمة محمد بخير ما جزى به إماما عن أمة نبيه .



الإمام الأَوَّابُ

رضي الله عنه

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

هو الإمام الأَوَّاب ، الناطق بالصواب ، الموافق حُكْمَهُ حُكْمَ الكتاب ، الذى قال للنبي أحجب نساءك فنزلت آية الحجاب ، الذى قال فيه رسول الملك الوهاب لو كان بعدى نبي لكان عمر ابن الخطاب ، والذى قال فيه على بن أبى طالب : إن ذكره حزن للأمة ، وطعن على الأئمة (فقد حُرِّمَ الإسلام من هذه الشخصية ، كما أنه قد سبق سبقا بعيدا وأتعب من بعده إتعبا شديدا) .

لقد كان عمر بن الخطاب لغزا ، حيث كان في الجاهلية شديدا جدا ولما دخل في الإسلام كان رحيمًا جدا ، وكان قبل الخلافة بالغ القوة وبعد الخلافة بالغ الرقة ، حتى أن أبا بكر الصديق حينما قيل له استخلف يا خليفة رسول الله فاستخلف عمر ، دخل عليه الناس فزعين فقالوا : يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك إذا لقيتَه حين يسألك وقد استخلفت علينا أَعَنَّ الناس علينا (أشدهم .. أغلظهم) ، فيقول أبو بكر : والله لئن سألتني ربي لأقولن استخلفت عليهم خيرهم وخير خلقك وأحبهم إليك .

ولقد ضرب مثلا في الزهد لم يضربه خليفة من بعده ، ففي فترة خلافته (وكانت اثنا عشر سنة وأحد عشر شهرا) فتح فيها مصر والعراق والشام وأذربيجان وأصفهان وبلاد فارس وبلاد الروم والحبيشة واليمن وأرمينيا .. وغيرها ، وحملت إليه كنوز كسرى وكنوز هرقل ، وكثر المال وكثرت الغنائم ، وكانت الفرصة سانحة لكي يستمتع بما أفاء الله عليه ولكنه كان يحبس نفسه عن ذلك ، (فليس الزهد في أن لا تملك الأشياء ، ولكن الزهد في ألا تملكك الأشياء) .

ويصفه رسول الله (ﷺ) فيقول : « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ

مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعَمْرُ » ^(١) .
والحدث هو الملهم وهى درجة أقل من درجة الوحي ، فالوحي صريح ينزل به جبريل على الرسل ، أما المحدث فهو ملهم يُلقى فى روعه بالأمور وتحدثه الملائكة دون أن يراهم ، فالمحدث هو الملهم الممنوح من الفراسة ما يقدر به أن ينطق بالأشياء التى سوف تحدث فتحدث كما حَدَّثَهَا .

وقد أُعطى عمر من الفراسة ما لم يُعْطَ خلافة ، فهو الذى وقف على المنبر ذات يوم يخاطب الجمعة والناس كلهم فى المسجد يتابعون حديثه ، فإذا به ينظر إلى بعيد ويتوقف عن خطبته ثم ينادى : (يا سارية بن حصن .. الجبل الجبل ، ومن استرعى الذئب ظلم) ، ثم يكمل خطبته ، وبعد أن ينزل يسأله على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين ما هذا الذى تحدثت به ؟ هل سنح إليك شئ ؟ ، فيقول على : فتسأله عمر عنه وكأنه لم يدرى بما قال ، ثم أجاب : لقد سنح لى أن المشركين ظهرُوا على رجالنا وعلى جيشنا وأنهم تجاوزوا الجبل ، فإن جاوزوه غلبُوا وإن لجأوا إليه ظهرُوا على من فيه وكتب لهم النصر ، فأردت أن أحذرهم

^(١) رواه البخارى .

وصرخت فيهم ، ويكتب هذا التاريخ ثم بعد شهر تأتي البشرية
بنصر جيش سارية بن حصن ، ثم يتحدث الناس الذين حضروا في
ذلك الجيش أو في هذه الغزوة فيقولوا : لقد سمعنا صوت عمر
يصرخ فينا : (الجبل الجبل ، ومن استرعى الذئب ظلم) ، فانتبهنا
ولولا ذلك لهلكنا .

وقد أسلم عمر بعد تسع وثلاثين رجلا وأحد عشر امرأة ،
وبتمام إسلام عمر تم الرجال أربعون ، ولم يكن منهم من أظهر
إسلامه سوى سبعة فقط هم : رسول الله (ﷺ) ، وأبو بكر ،
وخباب ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، وسمية أم عمار بن ياسر .

ولقد كان إسلام عمر استجابة لدعوة النبي (ﷺ) حيث
كان يدعو الله قائلا : «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ :
عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (وهو أبو جهل) » .
فاستجاب الله لدعوة النبي (ﷺ) وأعز الإسلام بأحب الرجلين إليه
وكان ذلك الرجل هو عمر بن الخطاب .

ولقد تعددت الروايات عن إسلام عمر ، وأرجحها وما نعتقد
أنها أكد الروايات : أن عمر بن الخطاب كان خارجا متوشحا

سيفه لتخليص أهل مكة وقريش من ذلك الذى فرق بين الناس وجاء
بدين جديد ، وسفه أحلامهم وسب آلهم ، فلقيه رجل من بني
عدى هو نعيم بن النحام فسأله أين تريد يا عمر ؟ ، فأخبره عن
وجهته ، فحاول أن يثنيه عن عزمه فقال له : يا عمر .. وهل أمنتَ
على نفسك إن أنت قتلت محمدا أن تتركك بنو هاشم أو يتركك
بنو زهرة [أحوال النبي (ﷺ)] — فقد كانت آمنة بنت وهب زهرية
من بني زهرة وأبوه (ﷺ) من بني هاشم [لافتا نظره إلى أنه إذا نجى
من بني هاشم فلن ينجو من بني زهرة ، فلما وجدته على تصميمه
حاول أن يثنيه بطريقة أخرى فقال له : إن كان هذا ما تريد فكيف
والأمر قد دخل إلى بيتك وأهل بيتك ، فاستشاط عمر غضبا وقال :
كيف ذلك ؟ ، فقال له : أسلمت فاطمة أختك وزوجها سعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل (وهو من العشرة المبشرين بالجنة) ، فذهب
سيدنا عمر إلى بيت فاطمة بنت الخطاب وطرق الباب ، قالوا :
من ؟ ، قال : عمر بن الخطاب ، فدخل عمر ابن الخطاب وقال
لفاطمة : هل صبأت ؟ ، وكان فى يده شئ فضربها به فسال الدم
من وجهها وبكت المرأة ولكنها قالت : يا ابن الخطاب افعل ما أنت
فاعل فإنى والله أسلمت ، فجلس عمر على السرير ووجد صحيفة

وقال : هات تلك الصحيفة التي كنتم تقرأون فيها ، فقالت : لا ..
 إنك امرؤ لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون
 ، وأخذ عمر يراودها حتى أعطته الصحيفة وقرأ فيها : (طه ﴿١﴾ مَا
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن تَخْشَى ﴿٣﴾
 تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى
 الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾)^(١) ، وحين سمع سيدنا
 عمر الآيات انشرح قلبه للإسلام وخرج حَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ الذي
 كان يقرأ معهما القرآن بعد أن كان محتبئاً خوفاً من عمر وقال له :
 الله الله يا عمر ، والله لعل دعوة النبي (ﷺ) قد أصابتك فقد سمعته
 البارحة يقول : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، فقال عمر :
 دلوني على محمد ، فوصفوا له دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا ،
 فذهب عمر إلى هناك وقرع الباب فنظر بعض الأصحاب من
 خصاص الباب ورجعوا فزعين وقالوا : يا رسول الله .. ابن الخطاب

(١) سورة طه الآيات من ١ : ٨ .

متوشحا سيفه ، وخاف الناس أن يفتحوا له ، فقال رسول الله (ﷺ) افتحوا له فإن أراد خيرا فخير ، ولعل الله يهديه إلى الإسلام ، وإن أراد غير ذلك كفانا الله ، وفتح الباب وأخذ رجلان من أصحاب رسول الله بعضدى عمر حتى لا يهجم على أحد وأقبلوا به إلى الرسول (ﷺ) فقال : أطلقاه ، فيقول عمر فأخذني رسول الله (ﷺ) من مجامعي وهزني وقال : أسلم يا عمر ، اللهم اهده للإسلام ، فقال عمر : أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فكبر المجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم تكبيرة سُمِعَتْ في جنبات مكة كلها .

وتدور الأيام بمكة وتأتى الهجرة إلى المدينة ، وها هو عمر يتوشح سيفه ويأخذ كنانة ويملاؤها بالسهم يأخذ القوس ثم يذهب إلى البيت فيطوف بالكعبة أمام المشركين ثم يقف ويصلى ركعتين وهو آمن ما يكون ، ثم يمر عليهم في مجلسهم مجلسا مجلسا ويقول : من أراد أن تُتَكَلَّهُ أمه وَيُيَتِّمَ ولده وتُرْمَلَ زوجته فليلقني وراء هذا الوادى ، إني مهاجر . ولذلك يقول عبد الله بن مسعود : كان إسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت خلافته رحمة .

وقد جمع عمر المستضعفين وأخذهم في حمايته وخرج إلى المدينة ومعه عشرون راكبا ، ونزل على بنى عمرو بن عوف ،

وكانت هجرة عمر قبل هجرة رسول الله (ﷺ) ، فلما سأله الناس كيف حال رسول الله (ﷺ) قال : هو على إثري .

وقد شهد عمر بدرا مع رسول الله (ﷺ) وشهد أحداً ، وكان فيمن ثبت حول رسول الله (ﷺ) وشهد معه المشاهد كلها .

هذا .. ونبينا (ﷺ) ينبه الأمة لمقام عمر فيقول : «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ^(١) .. وَيُرَوَّى أَنَّهُ عِنْدَمَا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّائِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» ، فَقَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : يَا عَدُوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ .. أَتَهْبِنَنِي وَلَا تَهْبَنَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ؟! ، فَقُلْنَ : نَعَمْ .. أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)

^(١) رواه أحمد وأحمد والترمذي .

(ﷺ) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « إِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ..
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا
غَيْرَ فَجِّكَ » (١) .. وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِ
عُمَرَ وَلِسَانِهِ » (٢) .. وَقَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ
مُرًّا ، تَرَكَهُ الْحَقُّ وَمَا لَهُ صَدِيقٌ » (٣) .. وَيَقُولُ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ
فَرَأَيْتُ قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ ، قَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ
قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ ، قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » (١) .. وَيَقُولُ
أَيْضًا (ﷺ) : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ
إِلَى جَانِبِ قَصْرِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ ، قَالُوا : هَذَا لِعُمَرَ ،
فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا ، فَبَكَى عُمَرُ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ
قَالَ : أَوْعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ ؟ ! » (٢) .. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه الترمذي .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، لَا تُخْبِرُهُمَا
يَا عَلِيُّ مَا دَامَا حَيَّيْنِ » (٣) . فلم يخبر على بهذا الحديث إلا
بعد أن انتقل أبو بكر وعمر إلى الرفيق الأعلى .

وقد بشره النبي (ﷺ) أكثر من مرة ، فحينما رجف أحد
وكان أبو بكر وعمر معه ، فقال له : « أَتُبْتُ أَحَدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ
(هو الرسول ﷺ) ، وَصِدِّيقٌ (وهو أبو بكر) ، وَشَهِيدَانِ (هما
عمر وعثمان) » (٤) .. وكذلك حينما رجف حراء وكان عليه
العشرة : رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ
، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، سَعِيدُ بْنُ
زَيْدٍ ، وقال (ﷺ) : « أَتُبْتُ حِرَاءَ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ
أَوْ شَهِيدٌ » (١) .. وقد بشره النبي (ﷺ) بالجنة كما بشره بكمال
الدين والعلم ، إذ يقول : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ
وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيِ وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ » ، قالوا : فَمَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

(٤) رواه البخارى .

(١) رواه الترمذى .

رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : « الدِّينَ » ^(٢) .. ثم يقول مرة أخرى : « يَبْنَأُ أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » ، قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ « الْعِلْمَ » ^(٣) .
وعنه قال النبي (ﷺ) : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ^(٤) .
وكان الناس يقولون : والله ما سمعنا رسول الله (ﷺ) إلا ويقول كنت أنا وأبو بكر وعمر ، ذهبنا أنا وأبو بكر وعمر ، جئت أنا وأبو بكر وعمر .

ودارت الأيام حتى جاءت خلافة أبو بكر ، وحين مرض أبو بكر قال له بعض الأصحاب : استخلف ، فاستدعى عبد الرحمن بن عوف وسأله : ما تقول يا ابن عوف في عمر بن الخطاب ؟ ، فقال عبد الرحمن : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ، قال أبو بكر : وإن ؟ [أى : وإن كان الأمر كذلك فإني أستشيرك] ،

^(٢) رواه البخارى .

^(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى .

^(٤) رواه الترمذى .

فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر ؟ ، فقال : أنت أخبرنا به ، فقال : أعلّى ذلك يا أبا عبد الله ؟ [أى : هل أنت موافق على رأيي فيه ؟] ، فقال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك [أى : ما استخلفت غيرك] . وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير .. وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة بعدك ، يرضى للرضى ، ويسخط للسخط ، والذي يُسرُّ خير من الذي يُعلن ، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه . فدعا أبو بكر عثمان بن عفان وقال له : أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، إنني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوه ، وإن لم آله ^(١) الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرا ، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردت ، ولا أعلم الغيب

(١) لم أقصر في اختيار الخير

، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ويروى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب طاف ليلة فإذا هو بامرأة فى جوف دار لها وحولها صبيان يكون ، وإذا قدّر على النار قد ملأتها ماء ، فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال : يا أمة الله إيش بكاء هؤلاء الصبيان ؟ ، فقالت : بكاءؤهم من الجوع ، قال : فما هذه القدر التى على النار ؟ ، قالت : قد جعلت فيها ماءً أُعَلِّلهم بها حتى يناموا (أوهمهم أن فيها شيئاً من دقيق وسمن) فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئاً من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم ، حتى ملأ الغرارة ، ثم قال : يا أسلم .. احمل عَلىّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك ، فقال لى : لا أم لك يا أسلم ، أنا أحمله لأنى أنا المسئول عنهم فى الآخرة ، قال : فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة ، قال : وأخذ القدر فجعل فيها شيئاً من دقيق وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر ، قال أسلم : وكانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى

شبعوا ، ثم خرج وربض بجذائهم كأنه سبيع ، وخفت منه أن أكلمه ، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ، ثم قال : يا أسلم أتدرى لم ربضت بجذائهم ؟ ، قلت : لا يا أمير المؤمنين ، قال : رأيتهم سيكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسى .

و حين تأتته أخبار الفتوحات ويأتته الخير والغنائم العظيمة ويقدم إليه كوب من غسل النحل ليشربه إذا به يمسك الكوب ويكسى ثم يرده ، ولما سئل لم يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : والله ما أريد أن آخذ من طيبات هذه الدنيا شيئا فيقال لى عجلتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ، وكان يأكل بالزيت ولا يأكل بالسمن حتى اسود جلده .

وفى أحد الأيام أخذ ينادى فى الناس : (الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة) ، فتوقع الناس حدوث أمر جلل ، فإذا به وقد اجتمع الناس يقف على المنبر يحمد الله ويشئى عليه ويقول : أيها الناس اعلموا أن أميركم كان يرعى الغنم لإحدى حالاته ويكرى عن ذلك (أى يأخذ أجر ذلك) بحفنة من شعير ، وكان يلبس القميص لا يغطى ركبتيه ، ثم نزل .. فقال له عَلَى : يا أمير المؤمنين .. ما أرى إلا أنك قد حَقَرْتَ نفسك ، ما مناسبة أن

تحدث الناس بذلك ؟ ، فيقول أمير المؤمنين : جاءتني أخبار الفتوحات واتساع رقعة الإسلام فقالت لى نفسى : يا ابن الخطاب لقد اتسع ملكك ، فغرتنى نفسى بينى وبينها فأردت أن أحقرها أمام الناس .

ويدخل عليه أعرابي يوماً فيقول : يا عمر الخير جزيت الجنة ، جهز بُنياتي واكسهنه ، أقسم بالله لتفعلنه ، قال : فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي ؟ ، قال : أقسم بالله لأمضيته ، قال : فإن مضيتَ يكون ماذا يا أعرابي ؟ ، قال : والله عن حالى لتسألته ، ثم تكون المسألات عنة ، والواقف المسئول بينها ، إما إلى نار وإما إلى جنة ، قال : فبكى عمر حتى أخضلت لحيته بدموعه ، ثم قال : يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم لا لشعره ، والله ما أملك قميصاً غيره .

وهكذا جعل الله أبا بكر وعمر حجة على الولاة من بعدهما إلى يوم الدين .

ويذكر أن سيدنا عثمان ذات يوم والحر فى منتهى الشدة وأثناء الهجير إذا به يرى رجلاً مُقَنَّعاً يسوق جملين فطلب من أحد مواليه أن يعرف من هذا الرجل وما الذى أخرجه فى هذه الساعة

ليأذن بدخوله حتى يستريح في الظل ، فيقول الرجل : فنظرت فإذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر إليه عثمان من كُوءٍ أخرج رأسه منها ثم أدخلها سريعا من لفح الحر ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أخرجك في هذه الساعة ؟ ، قال : جملين من إبل الصدقة لم يلحقا بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بهما وخشيت أن يضيعا ، فقال : يا أمير المؤمنين .. ادخل إلى الظل وعندنا ما يكفيك ، قال : ويحك أنا المسئول عنهما ، وأصر أن يأخذ الجمليين ويلحقهما بإبل الصدقة .

وهو القائل : والله لو عثرت شاة في شط الفرات لخشيت أن يسأل عنها عمر .. ويقول : ليتني أخرج منها كفافا لآلى ولا على . وهو الذى وافق كلامه وحى الله عز وجل في كثير من الآيات ، ففي غزوة بدر لما استشار النبي (ﷺ) أصحابه أشار عمر بقتل الأسرى بينما رفض أبو بكر وأشار بأن يؤخذ منهم ما يستعان به في القتال ، فنزل قول الله عز وجل مؤيدا لرأى عمر : (مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُدَ أُسْرَى حَتَّى

يُخْبِرَ فِي الْأَرْضِ^(١) ، ليس هذا فقط وإنما قال : (لَوْلَا
كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)^(٢) ،
وحين تكلم مع النبي (ﷺ) بشأن الحجاب قائلاً : يا رسول
الله احجب نساءك فإنه يَراهُنَّ البرُّ والفاجر ، فنزل جبريل
على الفور ليلغ النبي (ﷺ) : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا
فَسَأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ)^(٣) ففرض الحجاب .

وهو الذى طلب تحريم الخمر إذ قال : اللهم أنزل لنا
بيانا شافيا فى الخمر فما أرى إلا أنها حرام ، فنزل قول
الله تعالى بتحريم الخمر .

وحين كان النبي (ﷺ) يتلو فى سورة المؤمنون : (وَلَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ)^(١) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
مَّكِينٍ^(٢) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ)

(١) سورة الأنفال آية ٦٧ .

(٢) سورة الأنفال آية ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

وكان سيدنا عمر جالسا فقال : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)
، فنزل جبريل بها فأكملت بها الآية .

هذا .. وفي يوم من الأيام يقول عمر للناس : رأيت في المنام
أن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين ، ولا أرى إلا أن ذلك أجلى وقد
حان ، فإن أنا أصبت فالأمر في واحد من ستة هم الرهط الذين
توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض ، وذكر الستة أهل
الشورى : عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف
وسعد بن أبي وقاص ، ويشهدهم عبد الله بن عمر على ألا يكون
له من الأمر شيء ، فكفى آل الخطاب أن يكون منهم واحد ، فإن
وليها سعد فذاك ، وإن وليها غيره فليستعن بسعد فوالله ما عزلته
عن عجز ولا عن خيانة .. ويخرج سيدنا عمر لصلاة الفجر ، ولما
كبر ودخل في الصلاة طعنه أبو لؤلؤة المخوسى ست طعنات ، فصرخ
عمر وقال : قتلني الكلب (أو أكلني الكلب) ثم أشار لابن عوف
وأخذ بيده فتقدم ابن عوف فأكمل الصلاة بالناس .. وانتهت الصلاة
وحمل عمر إلى بيته وإلى سريره ، وجاعوه بشربة عسل فشربها
فخرجت من أحشائه ، فأتوه بشربة لبن فلما شرب خرج اللبن من
بطنه ، فعلموا أنه ميت .

وأبو لؤلؤة الجوسى كان غلاما يملكه المغيرة بن شعبة ، وكان قد جاء من بضعة أيام يشكو لعمر أن المغيرة بن شعبة يظلمه حقه ويأخذ منه كل يوم أربع دراهم ، فقال له عمر : اتق الله فى مولاك ، فخرج أبو لؤلؤة يقول : لقد وَسِعَ النَّاسَ عَدْلُهُ وضاق عَلَىَّ . ويقال أيضا : أن عمر قال له : ألا تصنع لنا رحي مرحا ، فقال أبو لؤلؤة لأصنعن لك يا أمير المؤمنين رحي تتحدث بها الأمصار ، فعلم عمر أن الرجل يتوعده ، وقال له عَلَىَّ : يتهددك الرجل يا أمير المؤمنين ! ، وفعلا أتى أبو لؤلؤة بخنجر وشحذه وجعل الخنجر ذو حدين وَسَمَّهُ ، ودخل على عمر بمجرد أن كبر ودخل فى الصلاة بين يدي ربه وطعنه ذلك التعس فى الكتف الطعنة الأولى ثم فى خاصرته ثم استمر يطعنه ثم جرى بين الناس ، وما يدركه أحد إلا ويضرب يمنا ويسرة فأصاب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة ، وجاء رجل فألقى عليه بثوب ليوقفه ، فلما علم أبو لؤلؤة أنه مأخوذ طعن نفسه .

وطلب سيدنا عمر من ابنه عبد الله أن ينظر فى ديونه فوجدها ثمانية عشر ألفا كانت كلها على الصدقات ، ولم يكن له غير قميص واحد يلبسه ، وكان ينام على فراش حصير ، وقال له : انظر فى مال

آل الخطاب فإن قُضِيَ ديني كان بها وإن لم يقض ديني فانظر في أموال بني عدى فإن لم تكف أموال بني عدى فانظر في أموال قريش ولا تتعدهم ، ثم قال : يا عبد الله .. اذهب لعائشة أم المؤمنين فقل لها : يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها فسلم واستأذن فوجدها تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى وسوف أوثره به اليوم على نفسى ، فلما رجع إلى عمر قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعوني ، فأسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟ ، قال : الذى تحب .. قد أذنت ، قال : الحمد لله .. ما كان شئ أهم لى من ذلك .. ثم نظر إلى ابنه عبد الله ، وقال : خذ رأسى عن الوسادة وضعه فى التراب لعل الله يرحمنى ، وويل لى ، وويل لأمى إن لم يرحمنى الله .. يا عبد الله ، إذا أنا مت فأغمض عيني وغسلنى واقتصد فى كفى ثم احملنى إلى أم المؤمنين عائشة ، وقل : عمر يسلم ويستأذن — فإننى أخشى أن يكون إذنها حياء — فإن أذنت فادفنى إلى جوار صاحبى ، وإن أبت فردنى إلى مقابر المسلمين .

ويقول ابن عباس : يا أمير المؤمنين أرجو ألا يصيبك منه إلا قول الله عز وجل : (وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا^(١)) أبشر يا أمير المؤمنين فوالله لقد كنت أمير المؤمنين وكنت أمين المؤمنين وكنت سيد المؤمنين وقسمت بالسوية ، فأعجبته مقالتي فجلس وقال : تشهد بذلك يا ابن عباس ؟ تشهد لى بذلك يا ابن عباس ؟ ، فيقول ابن عباس : فكففت فضربنى فى كتفى وقال : أشهد ، فقلت : إني أشهد لك بذلك يا أمير المؤمنين ، فتبسم وقال : الحمد لله ليتنى أخرج منها كفافا لا لى ولا على ، مُرُوا صُهِيبًا فليصلى على ، ومُرُوهُ فليصلى بالناس ثلاثا حتى ينتهى ذلك الرهط ويستخلف .

ولفظ عمر أنفاسه ولحق بالرفيق الأعلى ، وغَسَّله عبد الله بن عمر (ابنه) وكفنه ونزل إلى قبره عبد الله بن عمر وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (زوج أخته) وعبد الرحمن بن عوف .. رضى الله عنهم وعن سيدنا عمر وأرضاهم أجمعين .

(١) سورة مريم آية ٧١ .



عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

هو ثالث الخلفاء .. المشهور بالصدق والجود والوفاء ، صاحب أكبر حظ من الحياء ، ذو النورين الذي نَوَّرَ المحراب بإمامته ، وزَيَّنَ القرآن بتلاوته ، جمع القرآن ، وصدق بالإيمان ، وبُشِّرَ بسكنى أعلى الجنان ، الذي قال فيه رسول الملك الديان : «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ» ^(١) .

ولقد قُتِلَ سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وهو صائم .. وكان عمره أربعة وثمانين عاما وما رُحِمَتْ شيخوخته ، وسال دمه الشريف على المصحف الذي كان بين يديه .

أسلم (رضي الله عنه) ورسول الله (ﷺ) في بدء دعوته ، فكان رابع أربعة في الإسلام ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة .

^(١) رواه الترمذی .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » ، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَحَمَدَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » ، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَحَمَدَ اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بُلْوَى تُصِيْبُهُ » ، فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . ^(١)

وَحِينَ صَعِدَ عُثْمَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَأَبَى بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى جَبَلٍ أُحْدٍ رَجَفَ الْجَبَلُ فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) : « اثْبُتْ أُحْدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » ^(٢) .. وَحَدَّثَ مَرَّةً أُخْرَى حِينَمَا رَجَفَ حَرَاءٌ وَكَانَ عَلَيْهِ : رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَعَبْدُ

^(١) رواه البخارى .

^(٢) رواه البخارى .

الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، فيقول النبي (ﷺ) : « أثبت حِرَاءَ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » ^(١) .

وهو صاحب الهجرات الثلاثة ، فلقد زوجه رسول الله (ﷺ)
بابنته رقية وهاجر بها عثمان إلى الحبشة الهجرتين ثم هاجر بها إلى
المدينة .

وتأتى غزوة بدر ويخرج النبي (ﷺ) وأصحابه ويتخلف
عثمان بأمر النبي (ﷺ) لِيَمْرُضَ رقية التي اشتد عليها المرض وكانت
في أيامها الأخيرة ، وفي نفس اليوم الذى جاءت فيه البشرى بالنصر
في بدر ماتت رقية .. ويدخل رسول الله (ﷺ) المدينة وتخرج رقية
إلى قبرها .. ويذهب عثمان إلى النبي (ﷺ) أسيفا على عدم شهود
بدر فيحكم له النبي (ﷺ) بأنه قد شهدها وله أجر من شهدها بل
ويقسم له من غنائم بدر كواحد من شهود بدر ، وحزن عثمان
حزنا شديدا على وفاة رقية بنت رسول الله (ﷺ) حتى أن الرسول
(ﷺ) كان يُسَرَّى عنه فدخل عليه يوما ووجده منهارا من البكاء
والحزن فيقول له : « ما لك يا عثمان ؟ » ، فيقول : يا رسول

^(١) رواه الترمذى .

الله .. وهل دخل على أحد ما دخل على ؟ ، ابتك يا رسول الله كانت تحق ماتت وانقطع النسب بيني وبينك ، وما يتم عثمان كلمته حتى نزل جبريل إلى النبي (ﷺ) بوحي من الله فالتفت إلى عثمان ويقول له : « يا عثمان .. هذا جبريل جاء يأمرني من الله أن أزوجك بأختها أم كلثوم على مثل صداقها وعشرتها » ، ويتزوج عثمان بابنة أخرى من بنات رسول الله (ﷺ) هي أم كلثوم ، وتدور الأيام وتموت زوجته الثانية ويكي بكاء مرًا ويُسرَّى عنه رسول الله (ﷺ) ويقول : « والله .. لو عندنا ثالثة لزوجناك إياها » ، ثم يقول لأصحابه : « والذي بعثني بالحق لو كان عندي أربعين ابنة لزوجت عثمان واحدة تلو الأخرى » .

وتقول عائشة كان النبي (ﷺ) في حجرتها واستأذن أبو بكر على النبي (ﷺ) وكان متكئا على فراشه متشحا بمِرْطٍ لها فأذن النبي له وقضى له حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر فأذن له فدخل عمر فأبلغ حاجته إلى الرسول فقضاها له ، ثم خرج عمر ، ثم استأذن عثمان ، فجلس النبي (ﷺ) واعتدل في جلسته وقال لعائشة : « اجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ » ، ودخل عثمان وأبلغ حاجته إلى النبي (ﷺ) فقضاها النبي (ﷺ) له ، ثم خرج عثمان ، فتقول عائشة : يَا

رَسُولَ اللَّهِ .. مَالِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا فَرَعْتَ
لِعُثْمَانَ ؟ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) : « يَا عَائِشَةُ .. إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ
حَيِيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي
حَاجَتِهِ ، يَا عَائِشَةُ .. أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ؟ » ^(١).

وتدور الأيام ويأتي صلح الحديبية وعثمان مع النبي (ﷺ)
على أطراف مكة ويوفده الرسول (ﷺ) رَسُولَ خَيْرٍ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى
مَشْرُكِي مَكَّةَ لِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ سَمَاحَةٍ وَجُودٍ وَكَرَمٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ
أَهْلِهَا ، وَبَيْنَمَا كَانَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِمَكَّةَ مَعَ الْمَشْرِكِينَ يَفَاوِضُهُمْ
يَنْزِلُ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّبِيِّ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، فَيَجْمَعُ أَصْحَابَهُ
لِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَيَضَعُ يَدَهُ وَيَضَعُ الْأَصْحَابُ أَيْدِيَهُمْ لِهَذِهِ الْبَيْعَةِ وَالَّتِي
نَزَلَ بِشَأْنِهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ^(٢) . وَلَمْ
يَتَخَلَفْ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ عَنْ هَذِهِ الْبَيْعَةِ إِلَّا بِجَسَدِهِ ، فَلَقَدْ بَايَعَ

^(١) رواه أحمد ومسلم .

^(٢) سورة الفتح آية ١٨ .

الرسول (ﷺ) عنه إذ بسط يده اليمنى ثم قال : « إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ » ، فَضَرَبَ يَإِخْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ .^(١)

وتمضى الأيام ويلحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى وتأتى خلافة أبى بكر ، ثم تأتى خلافة عمر ، ثم يصاب عمر ويكيه حذيفة بن اليمان ويفزع المسلمون من إصابة عمر فيقول لهم عمر : ما لكم أتخافون ؟ هل حَمَلْتُمُ الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ ؟ ، فقالوا : يا أمير المؤمنين .. حَمَلْنَاهَا مَا تُطِيقُ ، استخلف يا أمير المؤمنين ، فيقول عُمَرُ : لَئِنْ تَرَكْتُهَا شُورَى بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ هُوَ خَيْرُ مِنِّي ، فَقَدْ فَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَلَئِنْ اخْتَرْتُ رَجُلًا بَعِينَهُ وَوَلِيَّتَهُ فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ هُوَ خَيْرُ مِنِّي ، فَعَلَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَلَكِنِّي أَتْرَكُهَا فِي سِتَّةِ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ : عُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، وَلَيْشَئُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِنَهْ أَيْكُم مَّا أُمِّرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عِجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ .. فَلَمَّا

^(١) رواه الترمذى .

فُرِغَ من دفن عمر بن الخطاب اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم .. قال الزبير : قد جعلت أمري إلى عليّ ، وقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه [أى نوكل له اختيار الخليفة] ، والله عليه والإسلام ؟ ، لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فسكت كل من عثمان وعلي ، فقال عبد الرحمن : أفتحعلونه إلى .. والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم ؟ ، قالا : لك ذلك .. فأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال : لك قرابة من رسول الله (ﷺ) والقدم فى الإسلام ما قد علمت ، فآله عليك لئن أمرك لنتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك ، فلما أخذ الميثاق عليهما ، قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه وبايع له عليّ وباقي أهل الشورى ، وولج أهل الدار فبايعوه ، ثم جاءت بيعة العامة .

ويتولى عثمان خلافة المسلمين ، وتبدأ الفتنة .. فقد انتشر الإسلام ودخل فيه الأخلاط من العرب والعجم ، ولا يعرف اللاحقون فضل السابقين .. ومن أخطر ما يصاب به الإسلام ألا

يعرف الصغير حق الكبير ، وأن يجترئ اللئيم على الكريم ، وأن تنصب المنابر للجهلاء وينزوى العلماء ، وأن يتناول الشباب على الشيوخ ، وألا يعرف حديثوا العهد بالإسلام وحديثوا العهد بالعلم فضل السابقين الراسخين في العلم .

ويبدأ الاعتراض على الخليفة !! على من غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !! يبدأ الاعتراض على المبشر بسكنى أعلى الجنان!! يبدأ الاعتراض على من قال له رسول الله (ﷺ) في وجهه : « غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة » ، يبدأ الاعتراض على رابع الأربعة في الإسلام وواحد من العشرة المبشرين الذين كانوا أمام رسول الله (ﷺ) في القتال وخلفه في الصلاة !! يبدأ الاعتراض على واحد من الستة أهل الشورى الذين مات رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض !! يبدأ الاعتراض على ذى النورين!! يبدأ الاعتراض على من جمع القرآن وعم فضله كافة أقطار الأرض إلى يوم الدين !! ولولا عثمان ما كان المصحف بين أيدينا .. يبدأ الاعتراض على عثمان بن عفان .. وماذا كان اعتراض هؤلاء الجهلاء والأخلاق من البشر والسفلة من الناس حديثى العهد بالإسلام والذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم

— وللأسف الشديد كان بعضهم من مصر — وكان بعضهم من البصرة وبعضهم من الكوفة ، وقلة من أهل المدينة الذين لم يعرفوا لعثمان فضله ؟ .. كانوا يعترضون على عثمان أنه ولَّى بعض الإمارات لأناس من قبيلته وقومه من بني أمية .. وما عرفوا أن عثمان ذو فِراسة رزقها الله له .. حتى أنه كان يجلس ذات مرة وحوله بعض أصحابه فدخل عليه رجل — ذلك الرجل كان وهو في طريقه إلى عثمان مرت به امرأة جميلة فنظر إليها بعينه فأطال إليها النظر — فإذا بعثمان يقول : ما بال أحدكم يدخل علينا وآثار الزنا في عينيه ، فيُدْهَش الرجل ويقول : أَوْحَىٰ بعد النبي ؟ فيقول عثمان : لا ولكنها فِراسة المؤمن ، قال رسول الله (ﷺ) : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » ^(١) .. ومع ذلك يجمع عثمان أصحابه وهم أصحاب النبي (ﷺ) ثم يقول لهم حين تبلغه هذه الاعتراضات : أنشدكم الله ورسوله .. هل تعلمون أن النبي (ﷺ) كان يؤثر قريشا على سائر الناس ، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش ؟ ، فسكت الناس ، فقال عثمان : والله .. لو أن مفاتيح الجنة بيدي لفتحتها لبني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم .

(١) رواه الترمذی .

لماذا لا يصطفى عثمان بن أمية وقد سبقه النبي في اصطفاء أهله وعشيرته؟! ، لَمْ لا يسوق الخير إليهم ، والأقربون أولى بالمعروف طالما كانوا أهلاً لذلك ، وطالما كانوا من السابقين ومن أصحاب النبي (ﷺ)؟! ولكن الغيرة والحقد والتكالب على الدنيا والانشغال بأمر الناس عن أمر أنفسهم أطمع الناس وبدأ باب الفتنة يفتح كي تنقلب الخلافة إلى الملك العظيم الذي حذر منه رسول الله (ﷺ) .. ويأتي أخلاط الناس وأسافلهم الذين سوف يقف عثمان خصيماً لهم عند الله تعالى ويقف الرسول (ﷺ) خصيماً لهم ، هؤلاء الذين استحلوا دم الإمام واستحلوا دم الخليفة ولعنهم رسول الله (ﷺ) قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى حيث قال : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ، ويحاصرون الخليفة في داره تسعة وأربعين يوماً ، ويخرج أحد أصحاب عثمان وأصحاب النبي (ﷺ) ليحدث الناس ويقول : أيها الناس .. والله لولا حديث لرسول الله (ﷺ) ما حدثتكم ، والله لقد شهدت رسول الله (ﷺ) في مسجده يقول ويذكر الفتنة ويقربها (أى يقرب وقت حدوثها) فدخل رجلٌ مُتَقَنَّعٌ بثوب فأشار إليه النبي (ﷺ) وقال : « هَذَا وَأَصْحَابُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْحَقِّ » ، فذهبت إلى الرجل المقنع وأقبلت عليه فوجدته عثمان بن عفان ، فأقبلت بوجهه

على رسول الله (ﷺ) وقلت له : هذا ؟ ، فقال : « نعم هذا » .^(١)
وأثناء حصار عثمان يقول له عبد الله ويقول له مولاه : قاتل
يا أمير المؤمنين ، فيقول عثمان : « لا والله لقد وعدني رسول الله
(ﷺ) موعدة وأنا انتظرها » .. [وقد كان في مكتبة عثمان أن
يستدعى الجيوش من مصر والشام ومن كل البلاد ، كان في مكتبه
أن يقاتل ولكنه أبي أن يرفع سيفاً على مسلم] .

ويخرج عثمان إلى هذا الجمع المحتشد على باب قصره ويطل
عليهم من شرفته .. ذلك الرجل الذي بلغ من العمر في بعض الأقوال
أربعة وثمانين عاماً ، وفي بعض الأقوال ستة وثمانين عاماً ، وفي بعض
الأقوال أنه قد بلغ التسعين عاماً ، يقف عثمان ويطل عليهم من شرفة
قصره ويقول :

« أَنشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمَ حِرَاءٍ إِذِ اهْتَزَّ
الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ثُمَّ قَالَ : (اسْكُنْ حِرَاءَ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا
نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ) وَأَنَا مَعَهُ ؟ » ، فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ (أى
وقف رجال وشهدوا بما قال عثمان) .

قَالَ : « أَنشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِذِ

^(١) رواه أحمد .

بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ : (هَذِهِ يَدِي وَهَذِهِ يَدُ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَبَايَعَ لِي ؟ ، فَأَنْتَشَدَ لَهُ رَجُلٌ .
قَالَ : « أَنْتَشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : (مَنْ
يُوسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِدِ بَيْتَ فِي الْجَنَّةِ ؟) فَابْتَعْتُهُ
مِنْ مَالِي فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ ؟ » ، فَأَنْتَشَدَ لَهُ رَجُلٌ .
قَالَ : « وَأَنْتَشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمَ جَيْشِ
الْعُسْرَةِ قَالَ : (مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً ؟) فَجَهَّزْتُ نِصْفَ
الْجَيْشِ مِنْ مَالِي ؟ » ، قَالَ : فَأَنْتَشَدَ لَهُ رَجُلٌ .. قَالَ :
« وَأَنْتَشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رُومَةَ ^(١) يُبَايِعُ مَأْوَها ابْنَ السَّبِيلِ فَابْتَعْتَهَا مِنْ
مَالِي فَأَبْحَثْتُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ ؟ » ، قَالَ : فَأَنْتَشَدَ لَهُ رَجُلٌ . ^(٢)

ثم دخل سيدنا عثمان القصر بعد أن أشهدهم على
أنفسهم .. وواصل الصيام ، وأعتق عشرين عبداً وهو في
الحصار ، ثم أمر بسرّاويل جديدة لم يلبسها في جاهليّة ولا
إسلام فشدها عليه ، وأخذ بعض الناس يحدثونه في أمر التنازل
عن الخلافة قائلين : يا أمير المؤمنين .. اخلع نفسك من الخلافة

(١) بئر كانت بالمدينة .

(٢) رواه أحمد .

واكف نفسك ما أنت فيه ، فيقول هذا الشيخ الكبير الذى
رفض القتال : « لا والله .. لقد قال لى رسول الله (ﷺ) :
(يَا عُثْمَانُ .. إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى
خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ) » ^(١) .

ويأبى عثمان أن ينزل عن الخلافة ، ويأتى يوم الجمعة
وعثمان فى الحصر ، وكان من أيام التشريق ، يأتى يوم الجمعة
الذى هو فى الأرض جمعة وفى السماء عيد ، ويصبح عثمان
صائما ، ويجتمع حوله هؤلاء الذين اصطفاهم الله ليكونوا
حوله فى ساعاته الأخيرة يخدمونه ويقدمون إليه بعض الطعام
وبعض الشراب ، وكان منهم الحسنيين (الحسن والحسين) قد
أرسلهما على ليفدوا عثمان بأنفسهم وحذرهم أن يخلص إليه
شئ يكرهه ، يصبح عثمان صائما ولكنه يصبح منشرحا
نشيطا ، ويتعجب من حوله ، ويخطب إليهم عثمان ويقول :
« والله .. لولا أن يقولوا أن عثمان يتمنى لأخبركم » ،
فاستحلفوه أن يخبرهم ، فقال لهم عثمان : « إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ (ﷺ) الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ

^(١) رواه الترمذى .

عَنْهُمَا وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي : اصْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ» (١) .
ويأمر بالمصحف ، بمصحفه الذى جمعه للأمة ويفتحه بين يديه
ويقرأ فيه .. ويتسور الأشقياء عليه سور قصره ويدخلون إليه
خلصة ويقتلونه ، ويسيل دم عثمان وتنزل منه قطرة على
كتاب الله عز وجل وهو بين يديه وتنزل القطرة من الدم
الذكى الطاهر على قول الله عز وجل : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) ، ولا زالت قطرة الدم حتى يومنا
هذا على مصحف عثمان .

وقد استمرت خلافته (ﷺ) اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر
يوما ، وقيل أنها استمرت إحدى عشرة سنة وأحد عشر يوما أو
اثنين وعشرين يوما ، وقد دفن سيدنا عثمان ليلا ودفن سرا ..
ويُيَكَّى عثمان ، تبكيه الجبال والوديان ، تبكيه الأرض وتبكيه
السماء ، ويفيق المسلمون على أسوأ صباح ، يفيق المسلمون
على أسوأ خبر ، يفيق المسلمون على أبشع جريمة ، ويُفْتَح

(٢) رواه أحمد .

(١) سورة البقرة آية ١٣٧ .

عليهم باب فتنة لا يغلق ولن يغلق إلى أن تقوم الساعة .

وتلك هي الفتنة التي أشار إليها حذيفة بن اليمان حين كان عمر بن الخطاب يسأل عن الفتنة التي تموج كموج البحر ، فيقول له حذيفة بن اليمان : يا أمير المؤمنين مالك وما لها ؟ إن بينك وبينها بابا ، فيقول عمر أيفتح الباب أم يكسر ؟ ، فيقول حذيفة : بل يكسر يا أمير المؤمنين ، فيقول عمر : إذا فلن يغلق أبدا .. وحين سئل حذيفة عن الباب قال : الباب عمر — إذا فقد كان يعرف حذيفة أن عمر سوف يُقتل — وحين سأله : وهل يعرف عمر أنه الباب ، وبالتالي يعرف أنه سوف يقتل ؟ ، فيقول حذيفة : نعم يعرف عمر أنه الباب كما تعرف أنت أن دون الليلة البارحة .

هذا .. وقد حذر النبي (ﷺ) أمته من هذه الفتن لتجنبها في أحاديث كثيرة .. فعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ ، فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » (١) .

(١) رواه مسلم والترمذي .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلَسْتَهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، فَبِي حَلَفْتُ .. لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا ، فَبِي يَغْتَرُّونَ ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُّونَ ؟! » (١) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَشْرَفَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ قَالَ : « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ إِنْ أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ يَوْمِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « سَتَكُونُ فِتْنُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا فَلْيُعِذْ بِهِ » (٣) .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا

(١) رواه الترمذی .

(٢) رواه البخاری ومسلم ، والأطم هو البناء المرتفع .

(٣) رواه أحمد والبخاری ومسلم .

الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ ، قَالَ : « نَعَمْ » ، قُلْتُ :
وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ ، قَالَ : « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخْنٌ ^(٤) » ،
قُلْتُ : وَمَا دَخْنُهُ ؟ ، قَالَ : « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ
مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ ، قَالَ :
« نَعَمْ ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » ،
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. صِفْهُمْ لَنَا ، فَقَالَ : « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا
وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا » ، قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَدْرِكَنِي ذَلِكَ ؟ ، قَالَ :
« تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ ، قَالَ : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعُضَّ
بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » ^(١) .

نسأل الله تعالى أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن .



^(٤) دخن : شوائب .

^(١) رواه البخاري ومسلم .

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

هو رابع الخلفاء .. وابن عم المصطفى (ﷺ) .. فاتح باب
خيبر بقبضته .. والذي اختاره النبي لابنته .. الضارب بالسيف ..
والصائم بالصيف .. والمواسي للضيف .. مظهر العجائب ..
ومفرق الكتائب .. ليث بن غالب .. الذي قال فيه رسول الملك
الواهب : أنا مدينة العلم ، وبابها عليُّ بن أبي طالب .

كان عَلِيُّ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ (ﷺ) يُرَبَّى فِي بَيْتِهِ ، يَحَاوِلُ النَّبِيُّ
(ﷺ) بِذَلِكَ أَنْ يَرِدَ الْفَضْلُ لِأَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَفَلَهُ بَعْدَ مَوْتِ
جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .. فَقَدْ أَصَابَتْ قَرِيْشًا سَنَةٌ ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ (ﷺ)

أن يضم واحدا من أبناء أبي طالب إليه ليخفف عنه المؤنة ، فضم إليه عليا .

وهو أول من أسلم من الصبيان ، فقد أسلم وهو ابن عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة في بعض الأقوال ، بعد أن أسلمت السيدة خديجة بيوم واحد ، فقد دخل على النبي (ﷺ) فوجده يصلي مع السيدة خديجة فيسأل فيقول له النبي (ﷺ) : « يا علي هذا دين الله الذي ارتضاه لعباده وأنزله على رسله ، يا علي آمن بالله واكفر باللات والعزى » ، فقال له علي : هذا أمر لم أسمع به ، فدعني أعرضه على أبي ، فيشير علي ، فيخشي النبي (ﷺ) من الإفشاء ولم يكن قد أمر بالإعلان بعد ، فقال له : « يا علي إما أن تسلم وإما أن تكتم » ، فبات علي يفكر في هذا الأمر ، فشرح الله صدره للإسلام مصداقا لقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ^(١) ، فلما أصبح الصباح ذهب للنبي (ﷺ) وأسلم وصلى معه قبل أن يصلي أحد من الناس .

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ .

ويروى سيدنا عليّ (عليه السلام) أن رسول الله (ﷺ) جمع بني عبد المطلب [فيهم رهط^(٢) كلهم يأكل الجذعة^(٣) ويشرب الفرق^(٤)] ، قال .. فصنع لهم مدا^(٥) من طعام فأكلوا حتى شبعوا ، قال .. وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بغير^(١) فشرّبوا حتى رَوَوْا وبقي الشراب كأنه لم يمس (أو لم يشرب) فقال (ﷺ) : « يا بني عبد المطلب .. إني بعثت لكم خاصّة ، وإلى الناس عامّة ، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم ، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ؟ » ، قال : فلم يقم إليه أحد ، قال : فقامت إليه وكنت أصغر القوم ، قال : فقال : « اجلس » ، قال .. ثلاث مرّات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس ، حتّى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي .^(٦)

وبقى عليّ مع النبي (ﷺ) يصلي معه ، ويقيم معه ، حتى

(٢) الرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة .

(٣) الجذعة : ما تم ستة أشهر إلى سنة من الضأن والمعز .

(٤) الفرق : الإناء الكبير .

(٥) مكيال يقدر بملء الكفين .

(١) الغمر : القدح الصغير .

(٦) رواه أحمد .

جاءت الهجرة فأمره النبي (ﷺ) أن يبيت في فراشه ويتغطى ببردته وقال : « يا علي .. لا يخلص إليك شيء تكرهه » ، وأمره بالبقاء بعده ثلاثة أيام ليؤدي الودائع عنه ، ونام علي في فراش النبي (ﷺ) ، وفي ذلك يقال أن الله عز وجل نادى جبريل وميكائيل وقال لهما : « لقد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر أخيه ، فمن منكم يؤثر أخاه عليه بطول العمر ؟ » ، فلم يرد منهما أحد ، فقال الله : « انظرا إلى هذا الذي بات في فراش محمد يفتديه بنفسه ، انزلا إليه واحمياه ، فنزل جبريل وميكائيل لحماية علي بن أبي طالب من كفار مكة » .. فبييت علي في فراش النبي (ﷺ) وينظر الناس من خصاص الباب معتقدين أن الذي يبيت في الفراش هو محمد بن عبد الله ، ثم يخرج النبي (ﷺ) عليهم ويأخذ من تراب الأرض ويضع على رأس كل واحد منهم وهو يتلو قول الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

ويبقى علي ثلاثة أيام ثم يخرج بعد أن أدى الودائع يسير

(١) سورة يس آية ٩ .

ليلا ويكمن نهارا حتى وصل إلى المدينة وقد تورمت قدماه
وسال منهما الدم ، ويستدعيه النبي (ﷺ) فيقولون : يا رسول
الله .. لا يقوى على المشى ولا يستطيع أن يأتى إليك ، فيذهب إليه
الرسول (ﷺ) ويحتضنه ويقبله وينظر إلى قدميه فتفيض الدموع من
عينيه ثم يمسح على قدمي ابن أبي طالب ويصب عليهما ماء فيشفي
الله أقدام على بن أبي طالب ببركة مسح رسول الله (ﷺ) .

وقد تزوج عليُّ من سيدة نساء العالمين .. من فاطمة بنت
محمد .. تلك السيدة العظيمة التي لم يساميتها من النساء سوى
ثلاث هن : السيدة خديجة ، والسيدة مريم ، والسيدة آسية امرأة
فرعون (وهن جميعا سيدات نساء العالمين) .. والتي قيل في
شأنها أنه إذا جاء يوم القيامة نودى في أهل الموقف : « يا أهل
الموقف .. غضوا البصر حتى تمر فاطمة بنت محمد » .

ولقد كان زواج علي من فاطمة بأمر من الله عز وجل حيث
استدعاه النبي (ﷺ) وقال له : « يا علي .. أمرني ربي أن أزوجهك
بفاطمة » .

هذا .. ولم تعش للنبي (ﷺ) ذرية ولم يكن له نسل إلا من

السيدة فاطمة ، تلك الذرية التي هي عترة النبي وزينة بيته وأهله وذريته ، وهم القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة ، ويقول النبي (ﷺ) في شأنهم : « كل مولود ينسب لأبيه وأولاد عليّ ينسبون إليّ » .

ويدخل النبي (ﷺ) على ابنته فاطمة يوما فيجدها وحيدة حزينة فيسألها : « أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ ؟ » ، ليرقق قلبها ويذكرها بصلة الرحم والدم التي بينها وبينه ولم يقل : أين زوجك ؟ ، فتقول فاطمة : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِإِنْسَانٍ : « انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ؟ » ، فَجَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : « قُمْ أَبَا تُرَابٍ .. قُمْ أَبَا تُرَابٍ » ^(١) . فكانت تلك كُنْيَةً عَلَى الْمُفَضَّلَةِ إِلَى نَفْسِهِ .

ولقد كان عليّ من أشجع الناس ، ولعلنا نأخذ بعض أمثلة لشجاعة هذا الفارس المغوار .. ففي غزوة بدر يروى حَارِثَةُ بْنُ

(١) رواه البخاري .

مُضَرَّبٍ عَنْ عَلِيٍّ فَيَقُولُ : تَقَدَّمَ (يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رِيْعَةَ ، وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ) فَتَنَادَى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ ، فَاتْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ ، فَأَجَبُوهُ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ » ، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَتَخَنَ ^(٢) كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، ثُمَّ مَلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ ^(١) ..

وفي غزوة الخندق خرج من صفوف كفار مكة والأحزاب رجل يقال له (عمرو بن ود) فارس العرب الذي لا يقوى أحد على مواجهته أو مبارزته ، خرج عمرو بن ود يختال على فرسه وينادي في المسلمين من خلف الخندق : هل من مبارز ؟ ، فيسكت الناس ، ثم يقول علي : أنا له يا رسول الله ، فيقول رسول الله (ﷺ) : « اجلس يا علي .. إنه عمرو بن ود » ، وينادي عمرو للمرة الثانية ، فيقوم عليٌّ ويقول : يا رسول الله .. أنا له ، فيقول : « اجلس يا علي .. إنه عمرو بن ود » ، وينادي للمرة الثالثة فيقوم عليٌّ

^(٢) أتخن : ضرب وجرح وأضعف .

^(١) رواه أبو داود .

ويقول : يا رسول الله .. أنا له ائذن لي ، فيقول : « يا علي ..
إنه عمرو بن ود » ، فيقول علي : وإن كان عمرو بن ود يا
رسول الله ، فيأذن له النبي (ﷺ) ويخرج عليٌّ ويجتاز الخندق
بسيفه مترجلاً ويواجه عمرو بن ود وهو على فرسه ، فيقول له
عمرو : من أنت ؟ ، فيقول : أنا عليٌّ ، فيقول له : ابن أبي طالب ؟
فيقول : نعم ، فيقول عمرو بن ود : لو كان أحد من أعمامك ؟
فإني أكره أن أقتلك ، فيرد عليٌّ قائلاً : ولكني لا أكره أن أقتلك ،
فاستشاط عمرو بن ود غضبا ونزل من على فرسه وضرب فرسه
بسيفه فعقره وهجم على عليٍّ بسيفه وضربه ضربة أثقاها عليٌّ بدرعه ،
ولكن السيف وصل إلى رأس عليٍّ فشجها ، فهجم عليٌّ عليه وضربه
ضربة أصابت منه مقتلاً ، وكبر المسلمون ، وعاد عليٌّ إلى مكانه .

وفي غزوة خيبر تمتنع الحصون على المسلمين أياما ، فيقول
النبي (ﷺ) : « لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » ^(١) ، فبييت الأنصار والمهاجرون
كلهم يأمل أن يكون ذلك الرجل ، ويصبح الصباح ويأتى الجميع
إلى الرسول (ﷺ) والكل يأمل أن يكون ذلك الرجل ، فيسأل

^(١) رواه البخارى .

النبي (ﷺ) : « أَيْنَ عَلِيٌّ ؟ » ، فيقول الأصحاب : إنه أرمَد يا رسول الله (أى فى عينيه رمد) فيقول : « اتتوني به » ، فيؤتى بعليٍّ وقد رمدت عيناه ولا يكاد يبصر ، فيتفل النبي (ﷺ) فى عينيه وينفخ عليها فيُشفى عليٌّ فى التو واللحظة وما شكى بعد ذلك من عينيه حتى مات ، يأخذ الراية من رسول الله (ﷺ) ويهجم على حصون اليهود ويدخل على باب خيبر فينتزعه بقبضته ويتترس به جاعلاً منه درعاً له ويكبر وتفتح خيبر .

وفى غزوة تبوك يُخلفه رسول الله (ﷺ) ولا يأذن له بالخروج معه ، وغزوة تبوك هى غزوة العسرة ، ويذهب عليٌّ إلى الرسول (ﷺ) باكياً ، فيقول : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي ؟ » ، ويذكره بقول الله عز وجل : (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ^(١) .. وهو ما يذكرنا بأمر آخر حيث آخى النبي (ﷺ) بين أصحابه ولم يؤاخ بين عليٍّ وبين أحد فيذهب عليٌّ إليه يكي ويقول : يا

(١) سورة الأعراف آية ١٤٢ ، والحديث رواه مسلم .

رسول الله .. أَخِيَّتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ ،
فيقول له النبي (ﷺ) : « أَنْتَ أَحْيَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (٢) .

ويقول علي (ﷺ) : عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ
إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُغَضُّكَ إِلَّا مُنَافِقٌ (٣) .. ويقول العباس (ﷺ) :
كنا نعلم المنافقين يبغضهم لعلي بن أبي طالب .

وقد حاز علي بن أبي طالب شرفا كبيرا حيث أنه أحد أهل
المباهلة ، وأحد أهل الرداء ، أما أهل المباهلة فحينما نزل على النبي
(ﷺ) قول الله عز وجل : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ) (١) .. خرج رسول الله (ﷺ) بعلي
وفاطمة والحسن والحسين ، وكان هؤلاء الأربعة هم أهل
المباهلة .. أما أهل الرداء : فحين نزل قول الله عز وجل :

(٢) رواه الترمذی .

(٣) رواه أحمد .

(١) سورة آل عمران آية ٦١ .

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٢) استدعى النبي (ﷺ) عليًا وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ رداءه وفرشه على رؤوسهم وغطاهم به ، وقال : « اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا » (٣) .

وفي غزوة أحد حينما أشيع أن النبي (ﷺ) قد قتل قال : والله ما قتل النبي ، وأخذ سيفه واقتحم جموع الكفار ، وضرب ستة عشر ضربة ، كل ضربة منها تقعه ، ولكنه يقوم ويكمل القتال حتى وصل إلى رسول الله (ﷺ) واطمأن عليه .

وتدور الأيام .. ويستدعيه النبي (ﷺ) ليرسله إلى اليمن فيقول : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. تَبْعُنِي وَأَنَا شَابُّ أَقْضَى بَيْنَهُمْ وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ ؟ ! ، قَالَ : فَضْرَبَ يَدَيْهِ فِي صَدْرِي ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَتَبَّتْ لِسَانُهُ » ، قَالَ : فَمَا شَكَّكَتُ بَعْدُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٣) رواه الترمذی .

اثنَينِ ^(١) .. هذا .. وقد قال فيه النبي (ﷺ) : « أفضاكم عليّ »
أى أعلمكم بالقضاء ، ويحكى أن رجلا جاء يشكو أن بقرة فلان
قد أصابت حماره فقتلته فقال واحد من الأصحاب : لا ضمان فى
الحيوان ، فاستأذن عليّ وسأله : أيهما كان مربوطا وأيهما كان
سائبا ؟ ، فعلم أن الحمار كان مربوطا وكانت البقرة سائبا وكان
معها صاحبها ، فقال : يضمن صاحب البقرة الحمار ، وقضى
بذلك وأجاز رسول الله (ﷺ) قضاء عليّ بن أبى طالب .

وتمر خلافة أبى بكر ، وتمضى خلافة عمر ، وتأتى خلافة
عثمان ، فكان عليّ واحداً من الستة الذين عهد إليهم عمر ، وهم :
(عثمان ، وعلى ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وطلحة ، والزبير) فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الخلافة
وأصبح من حقه أن يختار الخليفة فذهب إلى عليّ وقال : أبايعك على
كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،
فقال عليّ بن أبى طالب : فيما استطعت ، قال عبد الرحمن : ثمّ
عرّضتها على عثمان (رضي الله عنه) فقبلها .. وتمر الأيام وتحدث الفتنة
ويحاصر الثائرون منزل عثمان ، ويأمر عليّ بن أبى طالب الحسن

(١) رواه ابن ماجه .

والحسين فيقيا مع عثمان لحمايته ، وينفذ قضاء الله عز وجل ويُقتل
عثمان ، ويأتي الناس لعليّ يبايعونه بالخلافة ، وكان لابن عباس رأى
آخر .. وهو أن ينتظر عليّ ولا يقبل الخلافة حتى يبايعه أهل الشام
ويبايع كل المتخلفين ويأتي الناس من الأمصار للمبايعة ، ولكن عليّ
نزل على رغبة المهاجرين والأنصار وأهل بدر وقبل البيعة .. ثم حدث
الخلاف بينه وبين السيدة عائشة ، وطلحة ، والزبير بن العوام ..
وخرجت السيدة عائشة وخرج معها بعض الناس يريدون الشام
وخرج عليّ بن أبي طالب والتقى في موقعة الجمل حيث استدعى
علي بن أبي طالب الزبير بن العوام للقاءه ، ويأتي الزبير للقاء عليّ
فيقول له عليّ : يا زبير .. أنشدك الله ورسوله ، أتذكر يا زبير حين
قال لك رسول الله (ﷺ) : «أتحب عليا يا زبير ؟» ، فقلت : نعم
، فقال : نعم أذكر ذلك ، ثم قال عليّ : أتذكر يا زبير أن رسول الله
(ﷺ) حينئذ قال لك : «أما إنك لتقاتلنه وأنت له ظالم ؟» ،
فقال الزبير : نعم والله فقد ذكرتني بما نسيت استغفر الله ، ثم
وضع سيفه وقرر العودة للمدينة ، ثم استدعى عليّ طلحة وقال له :
يا طلحة .. أتركت أهل بيتك في خدرها وخرجت بحريم رسول الله
(ﷺ) ؟! وعاتب طلحة ، فأفاق طلحة وقرر العودة ، ولكن الناس

الذين ابتغوا الفتنة أحاطوا بالجمل الذى كان عليه هودج السيدة عائشة ورموا جيش عليّ بالنبل وبالسهم ، وبدأ التراشق ، فخشى عليّ بن أبي طالب من هول هذا فقال للناس : عليكم بالجمل .. عليكم بالجمل — لأن الجمل لو بقى واقفا وعليه هودج السيدة عائشة لبقى الناس يدافعون عن هذا الجمل حتى آخر رجل منهم — فرمى أحد أصحاب عليّ ذلك الجمل بسهم فوقع الجمل وتفرق الناس ، فذهب عليّ إلى السيدة عائشة وأكرم نزلها وحملها إلى المدينة وسار هو إلى الشام بعد أن استدعاه أهل الكوفة وأهل العراق .. وقبل أن يخرج عليّ ذهب إليه أحد أصحاب النبي (ﷺ) وقال له : يا عليّ .. إذا خرجت إلى العراق فإنك لن تعود ، فقال عليّ : إني أعلم ذلك ، فأصر عليّ الخروج ، وجاءه حذيفة بن اليمان يحاول أن يثنيه عن عزمه فأبى إلا الخروج إلى العراق .

وكان معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) قد توقف عن بيعة عليّ لأن عليا بن أبي طالب عزله وعزل جميع أمراء عثمان بن عفان ، فأبى معاوية أن يعتزل وأبى أن يبايع عليا حتى يسلمه قتلة عثمان باعتبار أنه من أولياء دم عثمان ، فهو من بني أمية وله حق القصاص .

وكانت وجهة نظر عليّ بن أبي طالب ألا يأخذ بثأر عثمان

فورا حتى تستتب الأمور له وتستقر الخلافة له وتقوى شوكة المسلمين ويُرد للإسلام هيئته ثم يأتى بقتلة عثمان حيثما كانوا .. بينما كان رأى السيدة عائشة ورأى معاوية وكل من رفض البيعة أنه ما كان لعلى أن يقبل الخلافة والبيعة ولا طاعة له حتى يقيم القصاص ويقتل قتلة عثمان ويأخذ بثأر عثمان قبل البيعة وقبل الخلافة ، وهذا هو سر الخلاف الذى نشأ بينهم ، ولم يكن خلافهم من أجل التنافس على الدنيا كما ظن بعض الناس الذين اختلطت عليهم الأمور ووقعوا فى أعراض أصحاب النبي (ﷺ) وأخطأوا فى حقوقهم واغتابوهم وشهدوا للبعض وشهدوا على البعض ، والله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات ومن قبل أن تحدث هذه الفتنة خاصة قد قال أن كلا الفريقين مؤمن حيث نزل قوله تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ^ط فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ^ج فَإِنْ فَأَتَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (١) ، كما أن رسول الله (ﷺ) سماهم كذلك

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

، فعن أبي بكره قال : بينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم يخطب إذ جاء الحسن بن علي فصعد إليه المنبر ، فضمه النبي (ﷺ) إليه ومسح على رأسه وقال : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٢) .

ويصل على إلى الكوفة ، والبعض يذكره بقول رسول الله (ﷺ) له : « من أشقى الأوليين ؟ » ، قال : عاقر الناقة ، قال : « صدقت » ، قال : « فمن أشقى الآخرين ؟ » ، قال : لا علم لي يا رسول الله ، قال : « الذي يضربك على هذا » .. وأشار بيده إلى يافوخه (١) .

وتدور الأيام ويحيى رمضان وعلى بالكوفة فكان يفطر يوما عند الحسن ويوما عند الحسين ويوما عند محمد بن الحنفية — وهو ابنه من زوجة أخرى غير السيدة فاطمة — ، وكان يفطر على ثلاث لقيمات فقط ويقول : سوف ألقى الله وأنا خميص (أى فارغ البطن) .. وخرج على (ﷺ) لصلاة الفجر في صبيحة اليوم المشهود ، وكان ذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، فاستقبله الأوز يصحن في

(٢) رواه أحمد والبخارى .

(١) رواه الطبراني وأبو يعلى — في مجمع الزوائد .

وجهه ، فقام أهل الدار بطردهن عنه ، فقال : دعوهم فإنهن نوائح
(جمع نائحة) .. أى أن الأوز ينوح على على فقد آن الأوان للقاء
ربه ، ويذهب إلى المسجد ويأتى عبد الرحمن بن ملجم ويختبئ وكان
معه رجل آخر ويُخرجا سيفيهما ويضرب عبد الرحمن بن ملجم على
ابن أبي طالب بالسيف فأصاب جبهته ووصل إلى دماغه فانشق وتنفجر
الدماء فتخضب لحيته البيضاء — فقد كان أبيض الرأس واللحية ..
وقال على : عليكم بالرجل لا يفوتكم ، وشدّ الناس على عبد الرحمن
ابن ملجم من كل جانب وأخذوه وأدخل على على فقال : أكرموا
مثنواه ، وأطبوا طعامه ، وألبسوا فراشه — فإنه أسير — فإن أعش فأنا
ولى دمي .. إما عفو وإما قصاص ، وإن مت فالحقوه بى أخاصمه عند
رب العالمين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

وابن ملجم هذا كان من الخوارج ، وقد تعاهد فى مكة مع
رجلين عند البيت لقتل على ، ومعاوية ، وعمر بن العاص ، على
أن يتولى ابن ملجم قتل على ، ويتولى كل واحد من الآخرين قتل
معاوية ، وعمر بن العاص ، فنجح ابن ملجم وفشل الآخرون .

هذا .. ويموت على بهذه الضربة — وكان سنه ثلاثا وستين
سنة — وكانت خلافته (ﷺ) خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .. ويُؤتى

بابن مُلجم للحسن والحسين ليقْتصا لأبيهما فيقتُلاه .

ويلقى على ربه شهيدا .. تبكيه الأرض وتبكيه السماء ..
ويلحق برسول الله (ﷺ) وبأصحابه السابقين .. وتحيق اللعنة
بالمُتآمرين عليه لقتله مصداقا لقول النبي (ﷺ) : « اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ
مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » ^(١) .



^(١) رواه أحمد .